(٣٤) ماسة درسدن — خضراء تفاحية صافية المائية ثقلها ٤ قيراطاً اشتراها اغسطس القوي ملك بولونيا سنة ١٧٢٣ بتسعة الآف جنيه

(٣٥) برلس الاول — ماسة حمراء ياقوتية ثقلها عشرة قراريط بين جواهر روسيا

(٣٦) تفاني — ماسة برتقالية اللون ثقلها ١٢٥ ٣/٤ القيراط عند بيت تفني الجواهرية المشهورين بنيويورك وجدت في مناجم كمبرلي بجنوبي افريقية سنة ١٨٧٨

حيوانات الجيزة

الفيل ملك الوحوش

مَن مِن قرّاء المنتطف لم يرَ الفيل او لم يقرأ عنهُ فليس المراد تعريفهُ ووصف شكلهِ لانهُ اعرف من ان يعرَّف وصورتهُ ارسخ صور الحيوانات في ذهن مَن يراهُ . ولكن الذين راقبوهُ في مسارحهِ ذكروا من نوادرهِ المدهشات ولاسيما الصياد تجادر الذي اعتمدنا عليهِ في كثير مما رويناهُ عن الاسد في الجزء الماضي والذي قبلهُ فرأينا ان نقتطف بعض ما رواهُ عن الفيل الافريقي هو وغيرهُ من كبار الصيادين

في حديقة الجيزة الآن ثلاثة افيال احدها صغير جدًّا والاخران كبيران ولكنهما لا يزالان صغيرين بالنسبة الى الافيال الضخمة فان عمر اكبرها ست سنوات . وهو شجاع لا تدنو منهُ حتى يمد اليك خرطومهُ طالباً كسرة خبز او قطعة حلوى . وقد تنضّ جلدهُ تعضناً عميقاً حتى كانهُ اتسع عليهِ . والثلاثة من الافيال الافريقية . وقد كان في الحديقة فيل هندي كبير كان مركباً للاولاد يحملهم على ظهرهِ بشوشاً صابراً عليهم وعلى الهندي الذي كان يركبهُ وفي يدهِ كلاّب من الحديد يخس رأسهُ بهِ . ومَن ينظر الفيل في حدائق الحيوانات او مع الذين يدورون بهِ للفرجة لا يخطر لهُ انهُ في غابهِ نفور فتّاك يخشى الاسد صولتهُ . وانهُ على شدّة بأسهِ مثل اشد الحيوانات حنانًا على صغارهِ ورأفةً لاطفالهِ والفةً ذكورهُ لاناثهِ فترى العائلة الواحدة منهُ مجتمعة معاً كبارها وصغارها ترد القدران في طلب الماء وترود الفياني والغياض في طلب العض من العشب والنضر من اغصان الاشجار لانها كلها من آكلة النبات

قال تجادر كنت سنة ١٩٠٩ اضرب في فيافي افريقية اقتفي آثار الفيل لعلي اظفر بهِ واذا برجل من الذين كانوا معي لاقتناص الاثر وقف بغتة وصفر صفيراً واطئاً فالتفتُّ اليهِ

واذا به يرمي الينا لكي نأتي اليه مسرعين فسرنا نحوه واذا بصوت تكسير الاغصان والاشجار حولنا فعلمنا انها الافيال . ثم رأينا على نحو تسعين متراً منا قطيعاً فيه اثنا عشر فيلاً الى خمسة عشر بين كبير وصغير اكثرها اناث وصغار وليس فيها من الافيال الكبيرة الانياب . وكانت الريح تهب منها الينا فلم تستروحنا فامرت رجالي ان يستلقوا حتى لا نرام وسرت انا وحامل بندقيتي وحامل آلة التصوير وجعلنا نتسلل لعلنا نتمكن من تصويرها اذا لم نتمكن من صيدها وكانت صغارها تمرح حولها لاعبة وقد كسرت لها شجرة لتأكل اغصانها ووقف واحد منها بين ساقي امه يرضع . وما زلت استرق الخطى وانا ادنو منها الى ان صار بيني وبينها اجمة كبيرة الاشجار ظلها كثيف لا يسهل معهُ التصوير الشمسي . حتى اذا صرنا على اربعين متراً منها جعل قلبي يخفق لانني لم اشاهد جماعة من الفيلة مثل هذه قبلاً ولانني كنت اعلم خطر الموقف الذي انا فيهِ . وكنت قد قلت لحامل آلة التصوير وحامل البندقية ان يبقيا ورائي وكان في يدي بندقية كبيرة فسرت نحو مرتفع يبعد عن الافيال نحو عشرين متراً لاصورها منهُ وبينما انا افكر في الجهة التي ارجه آلة التصوير اليها اضطربت بغتةً فان جهة الريح تغيرت فاستروحتنا ورفعت خراطيمها في الجو وبسطت آذانها وجعلت تصئو فدوت الفيلة باصواتها . فدرت لآخذ آلة التصوير من حاملها واذا به قد رماها واخذ يتسلق شجرة عالية وصرخ حامل البندقية باعلى صوته ياناكوجا اي اتوا وركض الى شجرة اخرى

فالتفت الى جهة الافيال واذا هي هاجمة علينا يتقدمها فيلان كبيران فسددت بندقيتي اليهما واطلقت زناد الحديدة الاولى وزناد الثانية فلم تنطلقا ففتحت خزنتيهما باسرع من لمح البصر ووضعت فيهما خرطوشين آخرين وخطوت خطوة الى الوراء على غير قصد مني لعلي اكتسب لحظة من الزمان فوقعت في حفرة عمقها نحو قدمين . ولكنني نهضت حالاً وسددت بندقيتي وقبل ان اطلقتها سمعت طلقاً آخر من حامل بندقيتي الاخرى فاصاب رصاصها كتف الفيل المتقدم والحالي لوى عني واركن الى الفرار وتبعهُ سائر الافيال فاطلقت حديدتي بندقيتي عليها فانطلقتا بصوت كالرعد زاد الافيال رعباً وسرعة . وثبت لي حينئذٍ انهُ لو لم يطلق حامل بندقيتي بندقيتهُ لقتلت ذينك الفيلين ببندقيتي

ورأيت سرة آثار فيل في سفح جبال غوجيتو ودلت الاغصان المكسرة على انهُ مرَّ من هناك منذ ساعة من الزمان وانهُ كان سائراً الهوينا فجددت في اثرهِ انا ورجالي ولكن كان الدغل كبيراً جدًّا يبلغ ارتفاعهُ خمس عشرة قدماً فاستحال علينا ان نرى الى ابعد من بضعة امتار امامنا فقلت لرجل من اتباعي ان يصعد الى شجرة عالية لعلَّهُ يرى الفيل فصعد ونزل

باسرع من لمح البصر وقال انهُ على مقربة منا وهو كبير الناببن جدًّا . ورأيت صخرًا قريبًا فصعدت عليهِ واذا بظهر الفيل يموج في تلك الغياض على نحو مئتي متر منا فسدَّدت بندقيتي اليهِ ورميتهُ فصاح صئي الغضب واركن الى الفرار فعلمت انهُ أُصيب واطلقت عليهِ رصاصة اخرى قبل ان يغيب عن عيني فاصابت جنبهُ الايسر فوقف هنيهة وجعل يزعق زعيقًا مزعجًا وعاد يجري راختق حالاً وكنا نسمع صوت تكسُّر الاشجار في طريقهِ . فجددنا السير وراءهُ ساعة بعد ساعة مرتشدين بدمهِ الى ان اضنانا التعب وجعل الرجال يتوسلون اليَّ لكي اكف عن اتباعهِ ولم أكن اقل تعبًا منهم وكدت اجيبهم الى طلبهم واذا نحن بنذير صغير فعزمت ان نقف عليهِ ونتشاور ولم نكد نجلس حتى سمعنا صئي الفيل فالتفتنا واذا هو في سفح الجبل على نحو خمس مئة متر منا وناياهُ تلمعان في نور الشمس وهذه اول مرة رأيناهُ فيها كلهُ . فدبت الخوة في رؤوس رجالي لما رأوهُ ونسوا تعبهم وقمنا نجدُّ وراءهُ وهو سائر امامنا والريح تهب من جهتهِ الينا الى ان دنونا منهُ فدار فجأة كأن الريح تغيرت . فوقفنا نتشاور ثم تفحصت بندقيتي فوجدتها محشوة برصاصتين رأساهما من الفولاذ (الصلب) واخترت اثنين من رجالي وتقدمت معهما نحوهُ وامرت الباقين ان يبقوا حيث هم ولم نسر اكثر من خمس دقائق حتى وقفنا فجأة امامهُ وجهًا لوجه لانهُ دار في نصف دائرة واقبل علينا . وهو ضخم الجثة كالجلمود واذناهُ مبسوطتان كشراع السفينة فرفع خرطومهُ كحرف S الافرنجية وهجم علينا فسدَّدت بندقيتي الى نقطة في جبهتهِ بين عينيهِ واطلقتها وقبل ان يزول صوتها من اذني رايتهُ مطروحًا امام قدميَّ فدهشت من ذلك و بقيت دقيقة من الزمان واقفًا والبندقية في يدي لا اصدق ما ارى بعيني وانا احسب انهُ قد ينهض ويهجم عليَّ فاطلق عليهِ الحديدة الثانية لكنهُ كان قد اسلم الروح . فاسرع الرجال اليَّ وهنأوني بالسلامة وجلست على ناب سلطان الناب افكر في الخطر الذي كنت فيهِ فاعتراني شيء من الدوار . وهاك بعض ما كتبتهُ في اليوم التالي في يوميتي

التفت امس الى الفيل مطروحًا على الصعيد طرحتهُ يد الانسان برصاصة اصغر من ظفرهِ وهو اكبر حيوانات البر واقواها والى جانبهِ ارزة كبيرة اقتلعتها العواصف . نظرت الى هذين الجبارين المطروحين فعلتني الكآبة وسرت في طريقي لا انبس بنت شفة

وعمل رجال نجادر في سلخ جلد الفيل بقية ذلك اليوم واليوم التالي فوجدوا طولهُ ٢٤ قدمًا و ٧ عقد (بوصات) وعلوهُ ٨ اقدام و ٦ عقد ومحيط بدنهِ ٥ اقدام وعقدتين وطول كلٍّ من نابيهِ ٧ اقدام وعقدتين وثقلهما ١٦٨ رطلاً

وبعد بضع سنوات عاد تجادر الى افريقية وسار لاصطياد الافيال فرأى قطيعاً منها فيه نحو مئتي فيل بين كبير وصغير على نحو مئتي متر منهُ ولحظ ان اثنين من الافيال الصغار رآياهُ فاعلما بقية الافيال وهذا مناقض لما يقال من ان الفيل قصير البصر لا يرى عن بعد. وكانت الريح تهب من جهة الافيال ولم يكد ذانك الفيلان يشعران رفاقهما حتى اقبل القطيع كلهُ على تجادر ورجاله فاركن اكثرهم الى الفرار وكان النبات طويلاً ماتفاً فحجب الافيال عن نظرهم ولكن صوتها كان يزيد دويًّا ثم بان رأس فيل كبير منها فوق العشب فرماهُ تجادر برصاصة خرقت دماغهُ والقتهُ صريعاً وبعد بضع ثوان هجم عليهِ فيل آخر فرماهُ وقتلهُ ولم يُصب هو ولا احد من رجالهِ بمكروه. ولو لم يصب ملتل الفيل الثاني لذهب في سبيل غيرهِ من قتلى الافيال كما ذهب القائمقام ارمستروج الذي تجد وصف مقتلهِ في الصفحة ٥٨١ من المجلد الاربعين من المقتطف او كما ذهب الضابط الالماني الذي قتلهُ فيل قرب بحيرة كيفو سنة ١٩٠٩ فانهُ كان يتبع قطيعاً من الافيال فاستروحهُ فيل كبير منها ودار اليهِ وهجم عليهِ فاطلق الضابط عليهِ خمس رصاصات اصابتهُ في رأسهِ ولكن ليس في قاعدة دماغهِ فتناولهُ الفيل بخرطومهِ ورماهُ في الهواء وانتظر حتى وقع على الارض فداسهُ دوساً وعجنهُ عجناً

وقد وقع المستر سلوس الصياد الشهير في مأزق مثل هذا ولكن كانت السلامة مكتوبة لهُ فنجا من مثل سم الخياط. ذلك انهُ كان منذ نحو ثلاثين سنة يصيد الافيال الى الجنوب من نهر زمبيزي وهو راكب على ظهر جوادهِ فصاد في يوم بضعة منها ولوى رأس جوادهِ ليعود الى خيمتهِ واذا هو بفيل كبير النابين فترجل واطلق الرصاص عليهِ مسدداً الى قلبهِ فاصابهُ ولكن ليس في مقتل. وكان من عادتهِ انهُ اذا رمى فيلاً ولم يقتلهُ يركب جوادهُ ويقرّ والجواد اسرع من الفيل عدواً ولكنهُ كان قد تعب ذلك اليوم من كثرة الطراد فادركهُ الفيل بعد قليل. قال سلوس ان آخر شيء درى بهِ هو انهُ سمع صوتاً كالرعد فوق رأسهِ ثم وقع غائباً عن رشدهِ وافاق بعد حين فوجد الفيل راكعاً على يديهِ وهو بين نابيهِ والدم ينصب عليهِ من خاصرتهِ فان الفيل اراد ان يطعنهُ بنابيهِ بعد ما وقع فخارت نابهُ في الارض على جانبيهِ وتعذر عليهِ نزعها منها ورأى سلوس فرجة بين رجلي الفيل فانسل منها واسرع الى بندقيتهِ وكانت مطروحة على مقربة منهُ لكن الفيل تمكن حينئذٍ من نزع نابيهِ من الارض فنهض وفرّ هارباً قبل ان يتمكن سلوس من رميهِ ثانية فنجا الاثنان

ومما يدل على قوة الفيل الفائقة ان المستر تجادر رأى ارزة محيط ساقها ٣٣ عقدة ونصف عقدة قبض عليها فيل وكسرها وقد تهجم الافيال على اكواخ السكان فتخربها وتقتل من

فيها او تدخل مزارع قصب السكر الكبيرة فتتلفها كلها لكن السكان يجتمعون على الفيل ويرشقونهُ بالرماح والمزاريق الى ان يقتلوهُ

ذكر لفنستون الرحالة المشهور ان رجالهُ التقوا مرةً بفيلة وابنها وكانا بلصبان فلما رأوهما علا صياحهم فخاف الفيل الصغير وهرب ولما لم تتبعهُ امهُ عاد اليها مسرعاً اما الرجال فاخذوا يرشقونهما بالحراب كما ترى في الشكل المقابل. وكانت الفيلة تهجم عليهم فيهربون من وجهها ولكنهم لم ينفكوا عن رشقها ورشق ابنها حتى قتلوهما

وقد يصطاد الزنوج الفيل بالفخاخ فيحفرون حفرة عميقة في طريقهِ ويغطونها باغصان الاشجار حتى لا تبين فاذا وصل اليها مشى عليها وهو لا يدري فيقع في الحفرة ويتعذر عليهِ الخروج منها فيجتمع الزنوج عليهِ ويرشقونهُ بحرابهم الى ان يموت

وقد يقيم الواحد منهم في شجرة فوق طريق الافيال ومعهُ حربة كبيرة ثقيلة جداً حتى اذا مرَّ الفيل من تحتهِ طعنهُ بها في ظهرهِ طعنة ثقيلة وقد تصل الحربة الى قلبهِ فتميتهُ حالاً او تكون مسمومة فتجرحهُ جرحاً بالغاً سامّاً يميتهُ . وبعضهم يتبع الفيل خلسة ومعهُ سكين كبير ماضٍ يعرقبهُ بها اي يقطع اوتار رجليهِ فوق قدميهِ فيقع حالاً ولا يعود يستطيع النهوض فيقتل بحربة يطعن بها في قلبهِ او بحراب كثيرة يرشق بها

ويزعم كثيرون ان الفيل لا يبرك على الارض ولكن الدكتور كارل بيترس اخبر المستر تجادر انهُ رأى الفيل مستلقياً مرتين . وقال الصياد رنجلر الالماني ان اخاهُ لقي حتفهُ من فيل كان مستلقياً فانهُ ظنهُ ميتاً ودنا منهُ لانهُ كان قد رمى فيلاً مثلهُ وهرب الفيل منهُ فظنهُ اباهُ ولم يكد يلمسهُ حتى نهض قائماً وقبض عليهِ بخرطومهِ وجلد بهِ صخراً فتطف انفاسهُ في لحظة من الزمان

ويقال ان فيل شرق افريقية يتبش نوعاً من الجذور ويأكلهُ فيكبر وينمو فيدنو الزنوج منهُ ويقتلونهُ

ولا يكتفي الفيل الافريقي باكل اوراق الاشجار واغصانها بل يأكل ايضاً الجذور والاثمار ويفضل حلو الطعم منها على غيرهِ . وكثيراً ما يرى واقفاً امام شجرة كبيرة مثمرة يهزها حتى تقع اثمارها فيلتقطها واحدة واحدة او يقطف اثمارها بخرطومهِ كانهُ يتعلَّل بها تعللاً

ومن رأي السر صموئيل باكر ان الفيل الافريقي اكثر تخريباً من الفيل الهندي وقد يقلع الاشجار من جذورها بنابيهِ ثم يأكل جذورها ولحاها واوراقها واذا عصت شجرة على الفيل الواحد لكبرها تعاون على اقتلاعها فيلان . والظاهر ان هذا شأن الافيال في السودان

حيث كان السر صموئيل وفي شرق افريقية حيث رآها سلوس تقتلع الاشجار واما الى جنوب خط الاستواء حيث كان لفنستون فالافيال لا تقتلع الاشجار ولا تعبث بالحراج والفيل الذي يقتلع الاشجار ويحفر الجذور يستعمل نابًا واحدة من نابيه فتقصر عن الناب الاخرى كما يستعمل الانسان يمناهُ فتقوى على يسراهُ

ويرد الفيل الماء كل ليلة تقريبًا في جنوب افريقية وقلما يردهُ نهارًا · ويقيم في الغابات في اشد الاماكن ظلاً

ويتأجل آجالاً كبيرة ولكن الغالب ان الذكور الكبيرة تنفرد وحدها فلا يبقى في الآجال الكبيرة الاَّ الاناث واولادها · قال سلوس ان اكبر قطيع رآهُ كان فيهِ نحو مئتي فيل · وكثيراً ما ترحل الافيال من جهة الى اخرى سنويًا تتبع المراعي كالقبائل الرحَّل وحينئذٍ تنضم الذكور الى القطيع كلهِ وترحل معهُ · وقد شهد السر صموئيل باكر رحلة الافيال فوصفها قائلاً كنا سائرين في بلاد لا ساكن فيها وبينما نحن نضرب في مثل الرياض النضرة رأينا منظراً يملأُ العين بهجة افيالاً تسيل بها البطاح زرافات مختلفة الاقدار من عشرة الى مئة والذكور الكبيرة منفصلة عنها تسير على جوانبها فرقًا كالحراس وقد يكون في الفرقة منها ثلاثون فيلاً كبيراً · وبقي هذا السيل العرم يسير موازيًا لنا نحو ميلين ونحن على ربع ميل منهُ ويتعذَّر عليَّ ان اقدر عددهُ او ان اعرف سعتهُ

وشمُّ الفيل الافريقي حادٌّ جدًّا اذا هبَّت الريح نحوهُ ولكن بصرهُ ضعيف وسمعهُ غير حاد ولا يظهر انهُ يدجن كالفيل الهندي · ويرجح بعض الباحثين ان الافيال التي كانت عند القرطاجنيين والرومانيين هندية كلها

وعلو الفيل الافريقي البالغ عشر اقدام وثقلهُ نحو ٨٨ قنطاراً مصريًا وقد يزيد على ذلك قيل ان الفيل جمبو الذي كان في حديقة الحيوانات ببلاد الانكليز كان ارتفاعه ١١ قدماً وثقلهُ ١٤٣ قنطاراً · وثقل نابي الفيل الافريقي على قول السر صموئيل باكر ١٤٠ رطلاً فاكثر وقال انهُ باع نابًا في لندن سنة ١٨٧٤ ثقلها ١٨٨ رطلاً · وذكر غوردن كنغ نابًا طولها ٢ قدماً و ٩ عقد وثقلها ١٧٣ رطلاً

هذه زبدة ما يقال عن الفيل الافريقي وسيأتي الكلام عن الفيل الهندي ونوادره في الجزء الثاني